غياب

على عتبة عامه الثمانين، رحل الأحد الماضي المحلّل النفسي المصري في غربته الباريسية. لم تكن غربة منفى، بل كانت غربة المعرفة، فوراءها قرار ذاتيّ يفسّره من جهة عدم توفّر بيئة بحثية عربية حاضنة، ومن جهة أخرى اعتراف به في فرنسا لم ينله إلا قلة من الأجانب

شوقي بن حسن

مصطفى صفوان رحيل على عتبة المئوية

التحليل النفسي أو الموت

«الكلام أو الموت» عنوان أشهر مؤلفات المحلّل النفسي المصري الذي غادر عالمنا يوم الأحد الماضي، مصطفى صفوان (1921 - 2020). عنوان يوجز فكرة العمل الذي صدر في عام 1996، ويختزل جوهر المدرسة اللاكانية التي ينتمي إليها المؤلف وهي التي وضعت اللغة وأنظمة التواصل بشكل عام في موقع أساسي ضمن فضاء التحليل النفسي، وفي هذا الكتاب قطع صفوان خطوة أخرى حين آذاب مفاهيم مثل المعنى والحقيقة ضمن معجم التحليل النفسي.

وإلى ذلك، كان العنوان يوضّح -في حدّ ذاته- موقفاً شاملاً من الوجود، موقف مصطفى صفوان بلا شك، ولكنه موقف كل امرئ ذي ضمير، فالكلام هو رمز التعبير ومن دونه تقبع الكينونة البشرية في زاوية بعيداً عن الفعل والتأثير فتذوي تدريجياً في الموت الرمزي، كما أن الكلام يحيل إلى التواصل والاعتراف بين الذوات وكل تعطيل لكلام الآخر إنما هو إنكار لإنسانيته تمهيداً لإقصائه أو إبادته.

غرف الكتاب - بفضل جاذبية عنوانه وقوة مقولاته - مقروئية عالية في ثقافات عدة، أوّلها الفرنسية التي كُتب بلغتها وبعدُ اليوم أحد أهمّ مراجع علم النفس فيها. وفي أميركا الجنوبية تحوّل إلى مفتاح جديد من مفاتيح التخلّص من الآثار الجانبية للدكتاتوريات العسكرية المتداعية نهاية القرن العشرين. وكانت له أصداء موسّعة ضمن الثقافات الألمانية واليابانية والأنغلوسكسونية وأخذ هناك سريعاً موقعاً رئيسياً لدى الباحثين في مجالات عدة أرحب من التخصّص الأصلي في علم النفس فاستلمه السيميولوجيون وعلماء الاجتماع والباحثون في الدراسات الثقافية والأنثروبولوجيون واستندوا إلى كثير من مقولاته وأطروحاته.

أما عربياً، فقد وصل الكتاب إلى لغة صفوان الأم عام 2008، بترجمة مصطفى حجازي الذي أشار في تقديمه للعمل إلى أن عبارة «الكلام أو الموت» هي التي ألهمته مفاهيم مثل الهدر الفكري والهدر الكياني، وهي المفاهيم التي أقام عليها كتابه الشهير «الإنسان المهدور». كما أشار المترجم اللبناني إلى حاجة الثقافة العربية بالذات لينطق هذا الكتاب بلسانها وهي التي تعاني أكثر من غيرها في مفتتح القرن الحالي من قمع التعبير والتضييق على الحريات الفكرية.

كان ذلك عشية التحوّلات التي ستعرفها البلاد العربية في 2011، وقد كانت الانتفاضات الشعبية - من تونس إلى سورية مروراً بمصر وليبيا واليمن - تضمّ ضمن شعاراتها مقولة «الكلام أو الموت». كانت تلك اللحظة أشبه بصراع حقيقي بين الرغبة في «الكلام» والرغبة في فرض «الموت»، بين إرادة شعبية انفلت عقالها صائحاً بمطالب الحرية والكرامة والعدالة، وبين قبضة الأنظمة وهي تستعمل أدوات العنف بلا رحمة لتمنع من يريدون «الكلام» من حقوقهم وتدفع بهم إلى «الموت». يمكن أن نربط كتاب «الكلام أو الموت» مع عمل آخر لصفوان، وهو ترجمته كتاب «مقالة في العبودية المختارة» لـ إيتيان دي لابويسيه (القرن السادس عشر). خيار لا يبدو اعتباطياً بحال، فالكتاب خارج التخصّص العلمي لصفوان، وبالتالي فهو نوع من الانتقاء الذي يعبّر عن شخصيته ويعبّر عما يرى بأنه ينقص المكتبة العربية. اختار أن ينقل عملاً تأسيسياً للوعي بالحريات في الثقافة الفرنسية، كيف لا وكتاب لابويسية يقوم على إضاءة الخطر الذي يتهدّد الإنسان حين يرضى بالعبودية طواعية حتى لو كانت محفوفة بشتى أنواع المذّات والمنافع.

كما نقل المحلل النفسي المصري إلى العربية كتاب «تفسير الأحلام» لسيغموند فرويد، لكنه لم يتصدّ له كخيار حر كما مع «مقالة في العبودية المختارة»، بل كان خيار الضرورة لسببين على الأقل: ثقف وراء السبب الأول قصة طريفة، حيث إن صفوان وهو في بداية حياته المهنية في فرنسا، عاد في صيف 1953 إلى مصر خلال العطلة الصيفية غير أنه وجد نفسه - بقرار سياسي من نظام الضبّاط الأحرار - مكرهاً على البقاء في مصر خمس سنوات على الأقل مدرّساً في الجامعة المصرية، وهي فترة جعلته يحتك بحاجيات الثقافة العربية فيُفيدها بشكل مباشر مما تعلّمه في سنوات تحصيله في السوربون.

أما السبب الثاني، فهو استشعار صفوان الحاجة الملحة للثقافة العربية إلى سدّ فجوة معرفية تتسع بشكل متسارع في مجال علم النفس، مع ظهور طلب على هذا المجال المعرفي بعد لمحات أولى سَحر بها سلامة موسى القرّاء العرب دون أن يشفي غليلهم نظراً لافتقاده للمؤهلات العلمية الكافية التي باتت متوفّرة لصفوان الذي درس التخصّص في باريس منذ 1946. في هذا العمل اجتهد صفوان أيما اجتهاد لنقل المفاهيم التأسيسية للتحليل النفسي إلى العربية التي كان لا يجد ضمنها مقابلات لمفردات المفكّر النمساوي، ولكنه أتاح لها لاحقاً نواة مادة معجمية تلقفها مترجمون آخرون في عقود لاحقة.

حين عاد إلى فرنسا في 1958، انغمس صفوان في متابعة محاضرات أستاذه الذي تعرّف عليه منذ سنوات، جاك لاكان (1901 - 1981). لم يكن يعلم - وهو الأجنبي - أنه سيصبح بعد بضعة أعوام تلميذ المحلل النفسي الفرنسي وصديقه، ثم رأس التيار الذي يحمل اسمه بعد رحيله (اللاكانية)، وسيتحمّل صفوان في هذا الإطار مسؤولية جسيمة في تحويل محاضرات أستاذه إلى سلسلة كتب سماها «لاكانيانا»، ونفهم ثقل المسؤولية حين نعلم أن لاكان لم يعتنِ طوال حياته البحثية الطويلة بتأليف كتب، وبالتالي فإن لاكان كما نقرؤه اليوم هو بشكل من الأشكال لاكان برؤية صفوان كما نعرف سقراط عبر رؤية أفلاطون.

كان لهذا الدور، وللعلاقة الوطيدة مع لاكان - وهو علامة مركزية في منظومة العلوم الإنسانية - أثر أساسي في اعتراف الجماعة العلمية الفرنسية بصفوان كما يحدث ذلك نادراً مع باحث أجنبي. لاحقاً يُعتبر صفوان فرنسياً من أصول مصرية، لكن لا يمكن أن نُرجع هذا الاعتراف الفرنسي إلى هذه العلاقة مع لاكان وحدها، فقد كان لصفوان مؤهلات أخرى تدعم شرعية موقعه، من ذلك أنه حين جرى إطلاق مشروع سلسلة الكتب المعروفة «ماهي البنيوية» عُهد إلى صفوان بوضع كتاب «البنيوية في التحليل النفسي» دون غيره من الباحثين في هذا المجال ومنهم لاكان نفسه.

مصطفى صفوان (ت: دينو إغناتي)

اتت ترجماته بناء على استشعار ما تحتاجه الثقافة العربية

لاكان الذي نقرؤه اليوم هو لاكان برؤية مصطفى صفوان

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

في انتظار الوصول

اخفت نجاحات كتاب «الكلام او الموت» ومشروع جمع ارث جاك لاكان والتعليق على اعماله مولفات كثيرة اخرى لمصطفى صفوان مثل: «دراسات حول الاوديب» (1974)، و«الجنسانية الانثوية ضمن النظرية الفرويدية» (1976)، و«فشل مبدا اللذة» (1979)، و«اللاوعي وكاتبه» (1982)، و«اللغة اليومية والاختلاف الجندري» (2009)، و«الحضارة ما بعد الاوديبية» (2018). طبعا معظم هذه الاعمال تنتظر من ينقلها الى العربية.

يوميات

لا يزال يتوهم أنه سيموت عما قريب

كورونا في مخيم بلجيكي بعيد

وفي غضون 48 ساعة فقط، اضطر أبو إدريس للبكاء كما صبي، والعويل كما أم جودت، والنهنهة والشغنفة كما الحاجة زريفة أيام مات ابنها فاروق

باسم النبريص

كانت ليلة الخميس وقتًا عصيبًا لأبي إدريس، ففي اليوم السابق، اكتشف أنه يسعل سعلات جافة، وأنه فاقد لحاستي الشم والتذوق، فركبه الرعبُ الأكبر: فيروس كورونا وأنا في هذه السن؟

وكان علم من أحدهم أنه سيتعين عليه المكوث في الحجر الصحي لمدة أسبوعين على الأقل، وهو إجراء يشكل جزءًا من حزمة جديدة من القيود الصارمة التي وافقت عليها طبيبة المخيم إلس إم وجه أحمر مثل شقّحة البندورة)، في محاولة لإبطاء انتشار الفيروس الناجي بين تكدسات اللاجئين. وفي غضون 48 ساعة فقط، اضطر أبو إدريس للبكاء كما صبي، والعويل كما أم جودت، والنهنهة والشغنفة كما الحاجة زريفة أيام مات ابنها فاروق، الله يرحمه ويرحمها، وجابوه لها غرقانًا من البحر.

وكل ذلك لأنه تخيّل رسول الموت، باسمه القبيح، يجوس في غرفة العزل، هناك خلف مبنى الزيبرا.

ولا يزال الرجل، بعد مرور أسبوع كامل، وقد تحسّن كثيرًا، ولم يثبت عنده الفيروس، بحمد الله. لا يزال يتوهم أنه سيموت عما قريب، لهذا يوصي اللاجئين العابرين عن شباكه بالصدفة، وهم ذاهبون للعب الكرة الطائرة في الملعب القريب، راجيًا:

أمانة عليكم، متدفنونيش إلا بجوار قبر أمي، الله يرحمها، هناك في تربة بلادي الغالية.

ويضحك عليه فتيان وشباب اللاجئين، بينما الكهول منهم يوبخونه:

يا راجل تف من بقك؟ موت إيش وانت هيك قوي مثل حصان؟

عيب هذا الخوف يتلبس واحد ناضج مثلك. أقسم بالله العلي العظيم إنو ما عندك كورونا ولا حتى معكرونا.

خلص عاد.

ولكن أي خلاص وأبو إدريس بطبعه رجل موسوس وشكاك؟

ولكن اي خلاص وابو ادريس بطبعه رجل موسوس وشكاك؟

ومن يضمن له أنهم لن يحرقوا جثمانه، كنوع من التوفير، وعلى رأس الإدارة واحدة مثل «ريت» تعبد المليم والقرش؟

وكل شهر ياتيها كتاب شكر من مؤسسة «فيداسيل» الفيدرالية، لأنها أكثر مديرة كمب توفر على المؤسسة، من بين حوالي سبعين كمبا على مستوى شقي البلد؟

هاه؟ من يضمن؟

وقال: طب ما أنا شايف وعارف. أنا بدي حدا، يقول لي؟

ولكن الدكتورة إلس جاءته بعد يومين، مستبشرة، وقالت له:

بالإمكان الآن، أن تعود لغرفتك، وأن تعيش حياتك الطبيعية، مثل أجعص واحد غير مصاب بالفيروس.

فسمعها أبو إدريس وأطلق زغرودة، ولا زغرودة أم محمد الجرابحي في الزمانات الحلوة، الله يرحمها ويرحمنا.

وخرج مثل مراهق فرحان وجاب المخيم بطوله وعرضه وهو يعلن: أنا طبت والله يا جماعة. طبت، باركوا لي.

وباركوا له، فكبرت في رأسه وراح جاب 3 كيلو شيكولاتة من محل الدهليز الفاخر، ووزعها على جميع اللاجئين، حيث جلس يومين على بوابة المخيم وصار يعطي الداخل إليه والخارج منه، ثلاث حبات شيكولاتة، وأحيانًا حبتين اثنتين، لأن المخزون بدأ ينفد.

وهكذا عدّت الأزمة على خير، إلا من جانب واحد لم يحسب له أحد في المخيم حسابًا: فقد عاد أبو إدريس لمعلّمه يوهان كي يواصل العمل في قطف التفاح، إلا أن الأخير أربدّ وجهه وقال: نبه.

وهو، والكل يعرف ذلك، عندما يقول كلمة ولو بحرفين، لا يتراجع عنها أبدًا. على الأقل في موسم هذه السنة. فعاد أبو إدريس منكسرًا، وتحسس جيبه وقال: آه. كان لازم أدير بالي على المصروف، وأصرف بالعقل.

فها هو العمل يروح، وها هو الفقر يرفع رايته المهزومة على مدّ البصر.

ثم زفر:

يسر أللهم وأعن. مع عدم نكران فضلك لأنك شفيتنا من الفيروس الخبيث.

وهكذا انتهت هذه الحكاية، بأبو إدريس معافى، ولكنه أقل وسوسةً وأكثر إفلاسًا من عقود كثيرة ماضية.

وقال: مع كل شيء، فالصحة هي الأهم. وما دامت معك فأنت قادر على العمل، في مكان آخر، وكسب المال.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

عمل لـ إبراهيم هزيمة، فلسطين

تجربة

الفن بوصفه تدخُّلاً في كل شيء

آي ويوي فنان أكلته الشهرة

في كتاب يصدر بالتزامن مع معرضه الحالي «تاريخ القنابل»، يتطرّق الفنّان الصيني إلى علاقته ببلده وقضايا الفن والهجرة عبر حوارات أجريت معه

نوال العلي

تُعد تظاهرة «دوكيومنتا» واحدة من أبرز الأحداث الفنية في العالم، حيث انطلقت أول مرة عام 1955 وتقام كل خمسة أعوام في منطقة هسن-كاسل الألمانية موطن الأخوين غريم، وفي عام 2007 قرّر القائمون عليها استضافة فنان صيني يُدعى آي ويوي ولم يكن قبل هذا التاريخ يحظى بالشهرة التي يحظى بها اليوم.

كان العمل الذي قدمه الفنان المفاهيمي غريباً وخارجاً عن أشكال الفن المعروفة، رغم أنه يعتمد على واحدة من قصص الأخوين غريم، واطلق عليه عنوان «فيري تيل» (قصة خرافية). قام آي ويوي بترتيب سفر 1001 مواطن صيني من مختلف الأعمار والخلفيات إلى هسن-كاسل طوال فترة المعرض، وقضى مئتا شخص في وقت واحد أسبوعاً في المدينة، وكانوا يزورون المعارض الأخرى وفعاليات التظاهرة بينما هم جزء من العمل الفني ذاته. ولتأكيد الحضور الصيني نقل آي ويوي 1001 كرسي صيني من عهد أسرة تشينغ (1644 - 1911) إلى المهرجان ووزعها على مساحات «دوكيومنتا» ليستخدمها الزوار، وهكذا في غمضة عين هيمنت الصين بالكامل على التظاهرة.

بعد هذا العرض الغريب، أصبح آي ويوي فناناً يلفت إليه أنظار التظاهرات الدولية والفنانين والنقاد والقيمين، لتصل شهرته إلى ذروتها في 2011، حين جرى اعتقاله بينما هو متوجه من مطار بكين إلى هونغ كونغ، ولم يعرف مكانه أو مصيره لعدة أيام، قبل أن يُعلن رسمياً عن احتجازه لدى السلطات الصينية، ومكث في معتقله 81 يوماً تحولت هي الأخرى إلى عمل فني آخر.

مسار الشهرة هذا يضيئه كتاب صدر خلال العام الجاري عن منشورات جامعة كولومبيا الأميركية يضم الحوارات التي أجراها آي ويوي طيلة العقد الماضي مع منظرين ونقاد وصحافيين وقيمين، وتناول خلالها مواضيع من قبيل علاقته بالصين ومعنى المواطنة ومسائل الفن والهجرة والمنفى وصناعة الفن والتكنولوجيا كأداة للحرية أو القمع.

كما يتناول الكتاب، الذي يحمل عنوان «محاورات» علاقته بوالده الشاعر المنشق الذي أُجبر على الأشغال الشاقة في قرية صغيرة ضمن «الثورة الثقافية»، ويتحدّث كذلك عن حياته طالباً في «مدرسة بارسونز للفنون» في نيويورك قبل أن يضطر إلى تركها لأنه لم يتمكن من دفع نفقاتها، وعمله رسام بورتريهات للناس في الساحات، وغير ذلك من التفاصيل التي تصوّره بطلاً بشكل من الأشكال، حتى وهو اليوم من الفنانين الأثرى في العالم، هو الذي كان الاستوديو الذي امتلكه في هونغ كونغ سابقاً كان يساوي قرابة المليون دولار.

سواء في عمله الفنّي الذي قدّمه للجمهور العالمي، أو من خلال مشاكساته النظام في الصين، فإن آي ويوي يخرج دائماً من الدائرة المحدّدة للفن، ليفرض على الجميع أن ينظر إلى الفن بوصفه تدخلاً.

تكشف الحوارات الصحافية أنسياقه وراء قالب «الفنان النجم»

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

آي ويوي (ت: أم كابلر، بيكتشر الاينس)

فعاليات

بداية من الثانية بعد ظهر يوم السبت المقبل، 14 تشرين الثاني/ نوفمبر، ينظّم كل من «المنتدى الفكري - سيزيف» و«جمعية تونس الفتاة» وفرع «مؤسسة كونراد اديناور» الالمانية في تونس محاضرة افتراضية يلقيها عالم الاجتماع التونسي **منير السعيداني** بعنوان **الثقافي، الديني والسياسي في تونس ما بعد الثورة**.

ضمن فعاليات اليوم الافتتاحي من «معرض مونتريال الدولي للكتاب»، يقام غداً نقاش حول تجربة الفنانة المكسيكية فريدا كالو تتحدّث خلاله كل من الباحثتين في تاريخ الفن صوفي فوشر وكارا كارمينا. كما تقام في نفس اليوم ورشة بعنوان **سلسلة الكتاب** تتناول مراحل انتاج الكتاب تنظّمها دار النشر **اندريه فونتان فونفون** وضمنها يجري التطرّق لواقع الكتاب مع جائحة كورونا.

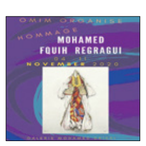

يختتم اليوم **منتدى الفنون البصرية** في «غاليري محمد ادريسي» في طنجة الذي نظمّته مؤسسة «إيماغو ميدي آرت» بداية من الاربعاء الماضي. احتفت دورة هذ العام من المنتدى بأعمال الفنان المغربي **محمد فقيه الرقراقي** وجعلت من تجربته منطلقا لتناول قضايا مثل حضور التراث في الفن وهوية الفن المغربي.

عبر موقعها الإلكتروني، تعرض «قاعة بوريل» في مدينة نانسي الفرنسية حفلاً موسيقياً بعنوان **الأمير الصغير** مستلهماً من الرواية القصيرة التي تحمل العنوان نفسه للكاتب الفرنسي انطوان سان إكزوبيري. يؤدّي العمل الذي صاغه موسيقيا **فاني ديرو** كل من **اوركسترا لورين** والممثل المسرحي **جان كوتورو**.